العايلة

مبادله الجميل

11

مبادلة الجميل

892.78
Ha195mA
C.1
الخوري الاسقفي يوسف الحايك

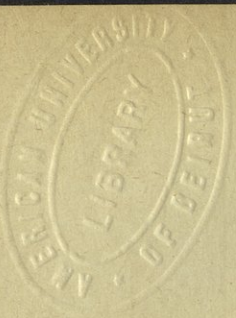

مُبادلة الجميل

أدبية تمثيلية ذات ثلاثة فصول

مكتبة صادر
بيروت

Cat. 11 Feb. '53

الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة المناهل : ٨٦ - ١٩٥٢

أسماء الممثلات

الأميرة هند : زوجة الأمير صقر الغساني أمير البلاد

سعاد : مربية هند

الأميرة دعد : زوجة وزير الأمير صقر

زكية : من شريفات البلاد

ثريّا : » » »

الماسة : » » »

غالية : ابنة الأمير سعد قائد الجيش

نظيرة : شقيقة الابنة المائتة «تظهر مرة بلباس الرجال»

حسيبة : صديقة نظيرة

خادمة للأميرة

ام خليل : عجوز

ابنتان

•

الفصل الاول

« يمثل المسرح رواق بيت العروس ، وبعد ازاحة الستار تظهر الأميرة هند بثياب العرس الملكية وعلى رأسها اكليل ثمين تحيط بها حاشيتها ومربيتها وابنتان صغيرتان على رأسيهما اكليلان ترفعان رداءها من الوراء »

المشهد الاول

هند – سعاد – ثريا – الماسة – غالية – ابنتان

هند « تدخل المسرح وحيالها الحاشية يغنّين على وزن :
قومي تخطّري يا زينه »

الحاشية تيهي دلالاً يا زينه
يا زنبقه في الجنينه

زهر القرنفل والياسمين
والورد خيَّم علينا

•

تيهي دلالاً غصن البان
يا زينة سوريا ولبنان

شمساً أضاءت في الأكوان
بدراً ينير ظلامنا

•

تيهي دلالاً يا صبيَّه
يا ذات النفس الأبيَّه

اقوالك العسجديَّه
تسبي العقول وتسبينا

سعاد ما لي أرى سيدتي منقبضة الصدر، تارة تتكلَّف ابتسامة خفية، وطوراً تسبح بافكارها في فضاء العالم؟ لِمَ هذا القلق يا سيدتي، وماذا يخالجك من الأفكار؟

هند لا شيء ... دعيني وشأني يا سعاد .

دعد رحماك يا اميرتنا ، فعلامَ تكتمينا اموراً تزعجك ؟ اكشفي لنا سر انزعاجك فلعلنا نستطيع ازالة قلقك .

الأميرة لا بدَّ لكل مفكرة ان تشعر بما اشعر به الآن ، فالانتقال من حالةٍ الى حالةٍ يجعل الانسان في حالة كحالتي هذه ، لا سيما وانا اجهل ما يخبّىء لي الغيب ، فما اسرع انتقالاً من عدم مسؤولية الى تحمّل مسؤوليات . كنت في بيت ابي لا هَمَّ لي ولا ما يقلق بالي ، امَّا الآن فقد غدوت انظر نظرة بعيدة الى مستقبلي المجهول فتساورني الهموم ، وتتبادر الى مخيلتي افكار تولّد فيَّ وساوس . أَجل ، لقد بدأت اشعر بعظم المسؤولية التي تلقى الآن على كاهلي ، ولا ادري كيف ابتدىء حياتي الزوجية .

ثريا أهذا ما يشغل بال سيدتي ويقلقها ، وهي التي تعوَّدت ان تجابه المصاعب وقد اشتهرت بحكمتها وحصافتها ورحابة صدرها ؟ آه لو تعلمين كم من

الأميرات يحسدنك على هذا الحظ .

الماسة عهدتك يا سيدتي رابطة الجأش تستقبلين مصاعب الحيـــاة بقلب كبير . بحقـك يا مولاتي ، لا تستسلمي للهواجس في يوم عرسك ، فالجميـع ينظرون إليك باجلال واعجاب . لقـد اشتهر عريسك بكرمه واصالة رأيه وبصولته وبطولته ، فهو امير البلاد وسيدها تهابه الأمراء العظام ، وهم يتسابقون الى خطب ودّه ، ويعتمدون على آرائه الصائبة ، وقد اكتسب بهذه الصفات ثقة شعبه وابطاله خلا انه اجمل شاب تجمعت فيـــه كل صفات الرجولة ، فهل من تزوجت بمثل هذا الأمير تخشى مصاعب الحياة ، وتفتح في صدرهـا باباً للقلق والخوف ؟

الأميرة غالية ان الأميرة هند لم تستسلم مرة للجبن ، ولكن ... لتسمح لي مولاتي ان اصارحها بما قرأت على جبينها من المشاغل ، فقد اردت يا سيدتي ان تموهي علينا سبب قلقكِ فاخفيت عنّا حقيقة امر انشغال بالك ، أليس كذلك ؟

الأميرة أجل يا حبيبتي . ان النصيب الذي حزتـه اليوم هو كافٍ ليجعلني أسعد امرأة على الأرض ، فان زوجي الأمير صقر هو أشرف واعظم امـير في هذا العصر . غير ان امرأً واحـداً يقلقني ويقضّ مضجعي. فانني اخشى واخشى كثيراً ان تضطرم النار الكامنة تحت الرماد ، ويغدو زوجي الأمير صقر ضحيّـة هذا الزواج . فان ابن عمي الأمـير معروف الذي طُبع على العجرفة وفظاظة الأخلاق قـد طلب يدي فرفضته لأنني رأيت فيـه عدم الكفاءة، وتلك الصفات التي فُطر عليها جعلتني انفر منه واردّه بإباءة نفس، غير اني بتُّ اخشى شره، لأنه خرج من لدن أبي متوعداً .

ثريا سيّـان رضي الأمـير معروف أم غضب ، فأنتِ أميرة البلاد رغم أنف كل مكابر ، فيجب ان لا تقلقي وتهتمي لأمر رجل أضاع شرفـه باعماله المغايرة ، وهو أحقر من ان ينال منـك موطىء القدم .

الأميرة لكنه شرس الاخـلاق . فمتى غضب يضحي ذئباً

ضارياً ، ويستبيح كل شيء في سبيل الوصول الى غايته . ومع هذه الشراسة هو لئيم غادر وداهية دهماء يلجأ عند الحاجة الى الدسائس ويتخذ له من رعاع القوم اعواناً قد يكون واياهم سبباً لاقلاق الراحة واضطراب الأمن .

دعد أتخشى أميرة البلاد رجلًا لا شرف له ولا أخلاق ؟ اصدري أوامرك بالقبض عليه ، واطرحيه في ظلمة السجون ، فيكون عبرة للآخرين .

الأميرة معاذ الله ان اقدم على ارتكاب هذه الدنيئة وانا عربية صميمة ، ومتى كان العدل يقضي بان يسبق الذنبَ القصاصُ ؟

سعاد بدّدي عنك هذه الأوهام ، فالسعادة تبسم لك فلا تتركيها ، بل افتحي قلبك للأفراح ، فعمّا قليل يصل الموكب الملكي لينقلك الى قصرك الجديد فيجب ان تبدو عليك سمات الغبطة والهناء. «ضجة» حركة في الخارج فهل وصل الموكب ؟ «تخرج ولا تلبث ان تعود والدموع تتساقط من عينيها»

الأميرة ما بكِ يا سعاد؟ فقد عدتِ والدموع تملأ عينيك.

سعاد أوّاه يا سيدتي !

الأميرة ماذا حدث ؟

سعاد ما كدت أطلُّ من الباب حتى ابصرت نعشاً مشيَّعاً الى المرقد الأخير ، وصبيَّة تصرخ مولولة وراء النعش قائلة : آه يا أُخيَّة ، يا زهرة الصبا ، ليتني كنت فداك يا سلوتي الوحيدة ! وقد كانت تزداد تفجُّعاً رغم اقبال المشيّعين على تعزيتها .

الأميرة يا لله ... هنا عروس تُزفّ الى عريسها ، وهناك صبيّة تُلحد في رمسها. عليَّ بشقيقة الميتة يا سعاد .

«تخرج سعاد»

دعد تبّاً لهذه الدنيا ، فلا يكاد المرء يشعر بأفراحها حتى تداهمه مصائبها واحزانها .

الماسة لا جديد تحت السماء ، هكذا كانت الدنيا ، وهكذا تبقى .

المشهد الثاني

الموجودات ـ سعاد ـ نظيرة ـ حسيبة

الثلاث «يدخلن»

سعاد هذه هي الصبية فقد اتت امتثالاً لأمرك.

الأميرة «تعانق نظيرة» خففي من احزانك يا عزيزتي، وامسحي دموعك، فالموت نصيب كل مولود.

نظيرة «تركع أمام الأميرة فتنهضها الأميرة من يدها» أواه يا سيدتي! ان مصيبتي لعظيمة، فلقد أخنى عليَّ الدهر وتوالت عليَّ المصائب، فمن فقد والدي الى فقد أخي في مدة لم تتجاوز الشهر، وقد صبرت على هاتين المصيبتين متعزية بشقيقةٍ لم يسلم لي سواها، واذا بالموت يختطفها فجأة من بين يديَّ زهرة نضرة غير متجاوزة الثامنة عشرة فلم يشفق على صباها ولا على قلبي الكسير.

حسيبة مصيبة صديقتي الشابة تستدعي الحزن والأسى.

الأميرة الله وحده يمنح السلوى ويكفكف دموع الحزانى.

وما الانسان في الدنيا الا رسول مسيَّر فان لم يصل اليوم الى مقره فغداً. اما سمعتِ قول الشاعر:

لِدوا للموتِ وابنوا للخرابِ
فكلكم يصير الى الترابِ

« ثم تنزع الاكليل عن رأسها وتمشي قائلة » باكليل عرسي أودُّ ان أُكلل نعش شقيقتك. « تخرج مع مربيتها وحسيبة ودعد فتضع الاكليل وتعود بدون اكليل »

دعد سيذكر التاريخ بفخرٍ ما فعلتِ يا مولاتي، فان تضحيتك هذه قد وضعت أسمى تعزية في قلب هذه الابنة البائسة، وقد أظهرت للملإ انك أشرف امرأة تلقي على البشرية أعظم أُمثولة في الشفقة، هل ذكر التاريخ مرة ان أميرة البلاد كللت باكليل عرسها نعش ابنة فقيرة؟ تلك هي عزة نفوس أميراتنا.

ثريا لتحيَ أميرتنا النبيلة.

الجميع فلتحيَ! « ضجيج في الخارج »

الماسة هوذا موكب سيدي الأمير قد وافى.

ثريا

لنخرجنّ للقائه فنصعد أميرتنا الى مركبتها الملكية .
« ثم يحطن بها فدعد وثريا تمسكانها من تحت إبطيها والبقية يمسكن أطراف ردائهـــا وهنّ ينشدن :
قومي تخطّري يا زينـه . وبعد نهايـة البيت الأول يـنزل الستار ويتابع النشيد في الخـارج ويخفض الصوت قليلًا قليلًا الى آخر البيت السادس »

قومي تخطّري يا زينه
يا زنبقـه في الجنينه

زهر القرنفل والياسمين
والورد خـيّم علينـا

•

تخطّري تحت العَلَمْ
بنت المعـالي والكرمْ

ارض الأعارب والعجم
لم تحوِ مثـل عروسنـا

•

تخطّري يا بنت الشام
يا زينه بين الانام

بدراً تجلّى في الظلام
شمساً تضيء ربوعنا

الفصل الثانى

قصر الأميرة

المشهد الاول

هند

هند « تمشي ذهاباً وإياباً ثم تنشد »

بين مجدٍ وثورة واحتيالِ
بان صبري وأقلق الهمُّ بالي

فالليالي من الزمان حبالى
والرزايا مخبّآت الليالي

يا لقومي فانّ لي في حماكم
أُسد حربٍ تجيدُ ضرب النصال

هم حماة البلاد في يوم اشتداد
الحروب وهم رجال القتال

ان بدا الغدر من لئيمٍ كنودٍ
فعليكم يكون كلُّ اتكالي

شيمة الغدر لطخة في جبينٍ
وهي عارٌ على جميع الرجالِ

لست أخشى سوى خؤونٍ سفيهٍ
يحتسي كأس لؤمه للـثمالِ

يُبطنُ الشرّ ضاحكاً وهو ذئبٌ
ويح دهري من الخؤون الموالي

•

حسبُ قلبي من الحياة ملاكٌ
ان يشبّ على كريم الخصالِ

فهو ذخري ومنيتي وحياتي
عش كريماً يا مهجتي بالدلالِ

أجل، لقد بلغت من المجد منزلة سامية، فاذا تكلمت تقوم البلاد وتقعد لكلمتي، وكأنني بين شعبي اله معبود، والأمير يسهر على غبطتي وهنائي. غير ان هذا الصفاء لا يخلو من مرارة، فان ذاك اللئيم الغشوم لا يزال يعمل مع أعوانه على عداوتنا فيعقد المؤامرات ويتحرّش بأعواننا مما جعلني أخشى العاقبة لانه ماذا يمنع اللئيم عن ارتكاب الغدر وهو لا ذمام له ولا شرف؟ «تقف وتقول بحدّة» ولكن ولكن... لئن غرتك نفسك أيها الخسيس وأقدمت على اشعال نار الثورة فستغدو طعاماً للنصال وسأدحرج رأسك عن جسدك بيدي، فالويلُ لك ولمن التفّ حولك! «تمشي ذهاباً واياباً» تباً للخونة وسحقاً للأنذال! أنا لم اكن يوماً جبانة ولم أتعوّد الخوف، غير ان من لم يحسب للعواقب أدركته المعاطب. فمن الحكمة ان نحسب لهذا العدو الغدّار حساباً. «تجلس وتسند رأسها بيدها وتغوص في التفكير»

المشهد الثاني

الاميرة ـ سعاد ـ زكية

سعاد ، زكية « تدخلان »

سعاد هل طرأ على مولاتي ما يعكر صفوها وهناءها ؟ فانني أراها غائصة في بحر الأفكار .

الأميرة لا شيء ينغّص هنائي، فأسباب النعيم موفورة لي، بيد انه لا بدّ للانسان من ساعات يستولي فيها اليأس عليه فيسبب له مثل هذه الأفكار .

زكية ان ما يزعجك ليزعجنا، فتعطّفي وابسطي لنا ما يقلقك فلعلنا نتمكن من ازالة هذه البواعث .

الأميرة هي أفكار بسيطة شغلت المخيلة قليلًا ولا تلبث ان تتبدّد . والآن هاتي ما عندك من أخبار .

زكية كل شيء على ما يرام، فالسكينة مخيمة على البلاد بظلّ مولاي الأمير، والناس في بحبوحة، والامن يرفّ بجناحيه فوق شعبنا المخلص .

الأميرة « بشيء من الحدّة » شعبنا المخلص ؟!!! هل تثقين باخلاص الشعب ؟ آه يا زكية ، انني اخشى

وأخشى كثيراً ان تكون النار تحت الرماد ، ففي الزوايا خبايا .

زكية أتشكين باخلاص شعبك ، وهو الذي يفتدي الأمير بحياته ؟ كثيراً ما اراك يا سيدتي جزعة قلقة ، وما عهدي بسليلة غسان انها تستسلم للجبن والخوف ، فهل تخشين بعض الثعالب الذين لا شأن لهم ولا مقام ؟

الأميرة وهل أحيل من الثعالب ؟ فمن هؤلاء يجب ان نتحذّر ، وعلى العاقل ان يكون دائماً متيقظاً حاسباً للعواقب حساباً .

زكية اذا دفع الغرور بعض اللئام الى تعكير صفو الأمن ، فلدى مولاي الأمير ابطال لا يهابون الموت ، وعند اول اشارة ينزلون بالمشاغبين النكال ، ويتركونهم عبرة لمن اعتبر ، فطيبي نفساً ، وارفقي بحالك وبحال نجلك المحبوب .

سعاد اترغبين ان آتيك بشيء من المرطبات تبرّدين بها غليلك ؟

الأميرة لا بأس بذلك . « تخرج سعاد فتأتي بكأس

ليموناضة فتقدمها للأميرة »

سعاد — ليشرب اعداؤك كأس الموت الزؤام .

زكية — أتسمحين جلالتك بان نطربك بشيء من الأناشيد الوطنية ، فلعلّنا نزحزح عنك شيئاً من الهموم .

الأميرة — لكُنّ ذلك ..

زكية — « تبتدىء بالغناء، وفي نصف البيت الأول تدخل دعد وثريا والماسة فيشتركن معها في الغناء »

المشهد الثالث

الموجودات – دعد – ثريا – الماسة

الثلاث — « يدخلن ويشتركن في الغناء على وزن : ظبية الأنس إليّ »

جـدّدي ارض الشآمِ
مجدك السامي التليـــد

مرتع الأسْدِ العظـامِ
موئل العافي الطريـد

•

آثرَ الاجـدادُ موتاً
وافتدوهـــا بالنفوس

جعلوا للسيف قـوتاً
من رقـاب ورؤوس

•

نحن احفـــاد الأوائل
جرّدوا البيض الصفـاح

واستخفُّوا بالجحـــافل
في ميـــادين الكفاح

•

بالرمـــاح السمهريَّه
وزنود الضاربـــين

والسيـوف المشرفيَّه
احرزوا النصر المبـين

•

يا بـلاداً ساد فيهـا
نخبـة القوم الكرام

حسبنا ان نفتديها
بدمـــانا والسلام

الماسة هذه الانشودة الوطنية تستفزُّ الهمم، وتزيل الهموم.

ثريا التغني بامجـاد الوطن يسمو بالنفس الى العـلاء، ويجعل في صدور الوطنيين المخلصين عاطفة تدفعهم الى الذود عن الوطن.

دعد كل هذه لم تزحزح شيئاً عن صدر سيدتي الأميرة.

الأميرة أجل يا سعاد، فانني اشعر بانقبـاض لا اعرف له سبباً، وقد غدوت مغلوبة على امري، وقد حاولت كثيراً ان أُسرّي عني الهموم فلم أفلح.

المشهد الرابع

الموجودات – غالية

غالية « تدخل مسرعة وهي في اضطراب شديد » البدار البـدار يا مولاتي! الهرب قبل حلول العطب!

« صراخ في الخارج »

الماسة ماذا حدث؟

غالية — الثوّار على أبواب القصر . « الى الأميرة » ان لم تسرعي يا سيدتي وتنجي بنفسك هلكتِ وهلكنا .

الأميرة — وولدي والأمير ؟

غالية — يهربان معك .

الأميرة — هذا ما كنت أتوقعه وأخشاه . « بغضب » ثكلتك امك يا معروف الغدّار . ويل لك أيها الخائن ! « ترتمي على كرسي منهوكة القوى فتحيط بها الحاضرات »

ثريا — خففي عنك يا مولاتي ، فرجالنا أشدّاء ولسوفَ يبطشون بهؤلاء اللئام الذين لا شرف لهم ولا ذمام ويخمدون نار هذه الثورة سريعاً .

غالية — الاسراع الاسراع قبل فوات الوقت .

أصوات في الخارج : ليسقط الأمير ولتُسْبَ الأميرة هند .

الماسة — ويلك يا غالية ! ألم يكن لدى الأمير من يبطش بهؤلاء الغدارين الأوغاد ؟

غالية — لقد باغتوا الحرّاس فأخذوهم على غرّة وذبحوا أكثرهم ، وفي أقل من ساعة اندلعت نار الثورة في كل الأحياء وامتدّ لهيبها الى القصر فاستولى الثائرون على جميع مخافر الجيش ومقامات

الحكومة وأضرموا النار في أماكن كثيرة، ولم يتورعوا عن ذبح الآمنين في بيوتهم، فالسيوف تتلاعب بالرقاب، والرماح تتغلغل في الصدور، والدماء تتدفق أنهاراً، وقد انفردت شرذمة الى هذا القصر وعلى رأسها شاب أمرد شاكي السلاح يرتدي عباءة حريرية والجميع يصرخون: لتسقط الأميرة، فالى قصرها. وعندما شاهدت كل ذلك أسرعت لانبئك بما جرى. فالبدار البدار.

الأميرة « مضطربة » وولدي!.. آه يا ولدي المحبوب... آه يا ملاكي!

ثريا سنذود عنك وعن ولدك حتى الموت.

الأميرة لا. اخرجن يا عزيزاتي ودعنني أموت مع ولدي. آه يا وحيدي فؤاد! لقد تمزّق فؤاد أُمك... « برباطة جأش » انه ليعزّ عليَّ أن أخرج من قصري خروج الجبناء وأنا سليلة من يستخفون بالموت، فالموت لي في ساحة الشرف أغلى وأبقى، فما أطيبك شريفاً أيها الموت! استحلفكنَّ بالله يا عزيزاتي ان تخرجن.

دعد وسيدي الأمير ؟.

الأميرة إما ان ينتصر واما ان يموت شريفاً في ساحة الوغى ... آتيني بولدي المحبوب يا سعاد فأغمره بالقبل واودعه الوداع الأبدي. « تخرج سعاد فتأتي بالطفل وتدفعه الى أمّه فتحتضنه وتقول » بعد قليل يا ولدي تمسي أمك حليفة الرمس ، فالى من أتركك ؟!! الى الله وهو يعتني بك... تعال يا حبيبي فأضمك الى صدري واشبع عيني منك في ساعاتي الأخيرة ... هلمّ الى صدر أُمّ تعيسة لا تبتغي لك الا الهناء ... فالوداع يا ولدي ، الوداع يا عزيزاتي .

أصوات في الخارج : لتسقط الأميرة هند .

الماسة « تركع أمام الأميرة » لم يبقَ من الوقت إلا دقائق معدودات ، فالثوار في فناء القصر وقد ابتدأوا بتحطيم الأبواب ، فبحق حبك لهذا الملاك الطاهر انجي بنفسك وبه .

الأميرة « برباطة جأش » الموت ولا الانهزام ، فاخرجن ودعنني .

اصوات في الخارج : لنقتحم القصر، لنقتحم المقصورة ، لتسقط الأميرة هند .

ثريا دعينا نموت بقربك . « يحطن بها وهي تحتضن ولدها وتضمه الى صدرها »

الأميرة آه يا بنيَّ ! « يفتح الباب بغتة ويدخل شاب شاكي السلاح يرتدي عباءَة حريرية وكوفية وعقالاً ولا يبان منه سوى عينيه فيقف ويجيل نظره يميناً وشمالاً بينما الموجودات يرتجفن من الخوف »

المشهد الخامس

الموجودات – الشاب

الشاب « يدخل »

الأميرة ماذا تبتغي ايها الشاب ؟ فان كان وُكل إليك قطع رأسي فأنا هي الأميرة ، لكن دع هؤلاء يذهبن . « برباطة جأش » تقدم . ما لك تتردَّد ؟ تقدَّم فاقطع هذا الرأس ، لكن ابقِ على هذا الرضيع المنكود الحظ ، فانه سوف يبقى بلا أُم ،

وربّما بلا أب . « تقبل ولدها » ستنشأ يتيماً يا ولدي ... تقدّم أيها الشاب وتمّم ما أُمرت به ... وهذا الصغير ... آه ! انه سيبقى تحت رحمتك ، وقد استودعته الله وأنت .

الشاب « يجرّد سيفه فتشهق الحاضرات وتغمض الأميرة عينيها مضطربة ، أمّا هو فيتقدم بكل أدب ويضع السيف على قدمي الأميرة قائلاً » على قدمي اميرة الشفقة والحنان أضع هـــذا السيف . « تشهق الحاضرات من الفرح »

الأميرة ماذا فعلت ؟ لماذا لم تنفّذ ارادة قائد الثورة ؟

الشاب معاذ الله ان أمدّ الى سيدتي الأميرة يداً إلاّ للمصافحة .

الأميرة « بتعجب » أنت من أنت ؟

الشاب ليس من الضروري ان تعلمي من انا ، وانما يجب ان تطيعيني .

الأميرة أطيعك ؟ بماذا ؟

الشاب بما أقول لك .

الأميرة اذا كان ذلك في استطاعتي .

الشاب انك تستطيعين .

الأميرة قُل ، شرط ان لا تطلب ما يمسّ الشرف، فإذا كنت تطلب ما تأباه النفوس الشريفة فليس باستطاعتك إلاّ ان تقطع هذا الرأس ، فهلمّ فاقطعه .

الشاب حرامٌ وألف حرام ان تظنّ بي سيدتي الشريفة سوءاً ، وحاشا لي ان اتفوّه امامها بدنيئة ، أمّا ما اطلب فهو ان ترتدي وسيدي الأمير هذه الثياب وتخرجا مع وحيدك وحشمك من الباب السري الى احدى القرى ريثما تنتهي هذه الثورة التي اضرم نارها بعض الاوغاد . « ثم يدفع اليها بقبجة من تحت عباءته »

الأميرة استحلفك بالله وبكل عزيز لديك انت الذي شئت ان ترحم وحيدي ، وتنقذ حياته وحياة أمه ، ان تقول لي من انت .

اصوات في الخارج : اضرموا النار في القصر... اقتحموه .

الشاب اسرعي يا اميرتي بالخروج قبل دخول اعواني ، فاسمعي صراخهم ، وما لك ولاسمي فيجب ان

يبقى مكتوماً.

الأميرة لا والذي بسط السماء ، ما خرجت من هذه المقصورة قبل ان اعرف من أنت .

الشاب أما وقد شئت ان تعرفي من انا ، فها انا ذي . «تخلع العباءة والعقال والكوفية بسرعة فتظهر امرأة في عنفوان الصبا، تتقدم وتجثو على قدمي الأميرة قائلة » انا هي المرأة المثقل كاهلها بدين حلّ وفاؤه ، وليست الثورة ومثيروها ومرور الأيام لتقوى على ان تنتزع من مخيلتي فضل اميرتي التي انتزعت عن رأسها اكليل عرسها فوضعته على نعش شقيقتي، انا هي أمتك الغارقة في بحر فضلك وجميلك ، فقد آن لي ان أفي ديناً حملته مدة طويلة ، فاخرجي اخرجي يا سيدتي وارحمي شبابك ووحيدك .

الأميرة « تعتنقها » يا لك من شريفة ، يا للوفاء ! يا للشهامة العربية !

أصوات في الخارج: لتمت الأميرة هند، ليحيَ الأمير معروف.

ألماسة هي نظيرة بعينها. « تعانقها » بارك الله عواطف

تتجلى في صدور الشريفات .

ثريا كيف تمكنتِ من الوصول الينا ؟

نظيرة لقد عهد الأمير معروف الى زوجي بسبي الأميرة فوضع تحت إمرته شرذمة من رجاله . وفي هـذا الصباح دخل زوجي البيت فرحاً مفتخراً بقوته وبما أُسند اليه ، فطار صوابي لهـذا الخبر وطلبت اليه بعد ان أخبرته ما فعلت الاميرة ان يتنحّى لي عن قيادة رجاله ، فاستجاب سؤلي وحالاً تمنطقت بســـلاحه كما ترين وأسرعت الى القصر وأوقفت رجالي خارجاً .

أصوات في الخارج : لِمَ هذا التأخر ؟ اقتحموا المقصورة .

نظيرة الاسراع الاسراع يا مولاتي .

الأميرة « تقبلها ثم تتدثر بالعباءة بينما الاخريات يقبلن نظيرة وسعاد تحمل الطفل ويخرجن مهرولات ، وفي اثناء ذلك ينزل الستار »

•

الفصل الثالث

قصر الأميرة

المشهد الاول

الأميرة

الأميرة خسىء المنافقون ودُكّت أركان الخيانة ، ولقي الجهلة شرّ ما جنت أيديهم الاثيمة. ألا فليعلم المنافقون النافخون في بوق الثورة انهم أذلّ من أن ينالوا منّا ، فلقد انقلب خبثهم عليهم ورُدّ سهمهم الى صدرهم وفي الحفرة التي احتفروها سقطوا . فالذين سلموا من سيوف أبطالنا هم الآن يئنّون في ظلمات السجون . ومعروف الغدّار يحرق الأرمّم . ويحاً لك يا معروف، يا من عُرفت بالغدر

واللؤم، فقد لطخت جبين آل غسّان بوصمة لا تمحوها السنون، وبرهنت للملإ على انك خسيس لئيم لا تعرف الوفاء والشمم. وددت أيها الذليل أن تصل الى بغيتك الدنيئة عن طريق الخباثة والغدر فحبطت مساعيك.... ظننت أيها المستهتر انك تنال مني ولم تعلم انني أمنع من جبهة الأسد أنفر من كل دنيئة وأفضل الموت ألف مرة على الدنايا وأستخفُّ بالسفلة الأنذال، فاحصد الآن ما زرعت ولتحرق فؤادك نار الندم في غياهب السجن.

أما رجالنا الأوفياء الذين أثبتوا للملإ انهم أحفاد اولئك الأبطال الذين افتدوا بلادهم بدمائهم فلهم أجزل شكر.

جددي أرض الشآمِ
مجدك السامي التليد

مرتع الأسد العظامِ
موئل العافي الطريد

المشهد الثانى

الأميرة – ثريا – غالية – دعد

الثلاث « يدخلن »

ثريا لتخدمك السعادة الى الأبد ، وليهنأ بك الوطن ، ولتسعد بك البلاد .

غالية ، دعد عاشت الأميرة .

الأميرة « تعانقهن واحدة فواحدة » هنائي بكنّ وبامثالكنّ ايتها الحبيبات ، فقد كنتنّ ولا تزلن من اشد الناس اخلاصاً ووفاءً ، تشاطرن اميرتكنّ السرّاء والضرّاء ، وما سعادة البلاد إلاّ بكنّ ، وبالوفيات المخلصات من امثالكنّ .

غالية اذا اخلصنا لجلالتك فانما نحن نبادلك بعض العواطف ، فما نفع الانسان ان لم يكن مخلصاً لوطنه .

الأميرة من أشبه أباهُ فما ظلم ، فكيف لا تكونين من اشد الناس اخلاصاً وانت كريمة الأمير سعد

الفارس الضرغام من سعدت به البلاد ونجت من مخالب ذئاب راموا افتراسها .

غالية لا شكر على واجب ، فإذا ضرب ابي فبسيف سيدي الأمير يضرب ، وبهيبته يحارب ، وبصولته ينتصر على الأعداء .

دعد كيف صرفت يا سيدتي الخمسين يوماً ؟ ألم تساورك المخاوف ، وتزعجك حياة لم تتعوّديها من قبل ؟

الأميرة كنت دائماً ارى شبح الموت يتخايل لي بين ساعة وأخرى ، ومع ذلك كنت متفائلة بالنتيجة التي بلغنا إليها ، لأن اعتقادي كان ولا يزال أن الظلم لا يمكن ان ينتصر على الحق ، فصبرت صبراً جميلاً ، وقد وفر لنا من كانوا بقربنا رغم سذاجتهم وبساطة معيشتهم كلّ اسباب الراحة ، لا سيما اهتمامهم بامر وحيدي فؤاد .

ثريا اين صرفت هذه المدة ؟

الأميرة في ضيافة امرأة عجوز لا تعرف الحبث ولا الممالأة ، فبعد ان خرجنا من القصر وتفرقنا توجهت مع سعاد فحملت فؤاد على ذراعيها

وتوغلنا بين البساتين واتجهنا الى الجهة الشرقية ، وكان الأمير يحمي ظهورنا ، ومـا لبثنا ان بلغنا قرية صغيرة فاستقبلتنا عجوز وانزلتنـا في كوخها الحقير حيث صرفنا كل هذه المدة عائشين عيشة قروية ، وكانت العجوز قائمـة على خدمتنـا تيسر لنا اسباب الراحة ، وكنت انا اعاونهـا في الغسل والطبخ وتنظيف الكوخ ، وهي كانت حنوناً على ولدي ، وهذا ما جعلني افتح لها قلبي ، واحترمها . « تنادي » سعاد .

سعاد « من الخارج » لبيك .

الأميرة استدعي ام خليل . امّـا الأمير فبعد ان اوصلنا الى مقرّنا واستأنسنا بتلك القرية تقلد حسامـه وقفل راجعاً الى المدينة تحت جنح الظلام ، وكان يختلف إلينا حيناً بعد حين ، فيصرف النهار بين جيوشه يجالد ويضارب ، وفي المساء يعود إلينـا لاهثاً من شدة التعب .

الجميع ليحي الأمير .

المشهد الثالث

الموجودات – العجوز

العجوز « تدخل متوكئة على عصاها وعلى صدرها نيشان »
أيش بتأمري يا تقبريني ؟

الأميرة شئت ان اذيع فضلك امام اكبر سيدات البلاد ، وأعرفهن على وفائك واخلاصك فيذعن فضلك على الملإ ، ويشتركن معي في الشكر لك .

العجوز طوّل عمرك وعمارهن .

غالية كيف ترين ذاتك في هذا القصر ؟ هل تفضلين العيشة القروية في كوخك أم العيشة الملكية في هذا القصر ؟

العجوز مطرح اللي بتكون سيدتي هند وولدها فؤاد المحبوب بكون مبسوطه ، أيش بيهمني ما زال سيدتي راضيه عليي وفؤاد بيناغيلي . بتريدي شي بعد يا سيدتي ؟ بدي روح لعند فؤاد قبل ان

يقوم من سريره .

الأميرة — لكِ ما تشائين .

العجوز — بخاطركن . « تخرج »

المشهد الرابع

الموجودات ـ خادمة

ثريا — حقاً ان هذه العجوز على بساطتها تلقي أمثولة على الآخرين بعاطفتها واخلاصها .

الأميرة — كم وكم من القرويات البسيطات يفضلن ربّات الخدور بصفاتهنّ وأخلاقهن الشريفة رغم سذاجتهنّ .

الخادمة — « تدخل » مولاتي ! في الباب امرأة باكية تلتمس المثول بين يديك .

الأميرة — « متسائلة » باكية ؟ من هي هذه، هل صرّحت لكِ باسمها وبغيتها ؟

الخادمة — كلا ، بل رأيتها ملحّة بائسة وملامحها تدلُّ على انها من العامة .

الأميرة — أدخليها . « تخرج الخادمة »

ثريا ستزدحم الكثيرات في بابك .

الأميرة ان قصري للجميع ولا أريد ان يوصد بابه في وجه احد .

دعد وستكثر طلبات العفو للمجرمين .

الأميرة متى كان من سبيل للعفو فلا نضنُّ به .

دعد التساهل يلد التمرُّد ، فلتتشبّث سيدتي بالعدل ولا تدع الرحمة تتغلّب عليها .

غالية لكن الرحمة أسمى من العدل .

ثريا الرحمة حسنة للمظلوم لا للئام .

الأميرة متى وجدت مجالاً للرحمة فلا أتأخر عن ايلائها لمستحقيها .

المشهد الخامس

الموجودات ـ نظيرة

نظيرة « تدخل مسرعة وتكبّ على قدمي الأميرة باكية »

الأميرة « تنهضها من يدها قائلة » انهضي، فمن أنتِ وما شأنك ؟

نظيرة « تقف والدموع تتساقط على وجنتيها » آه ما أسرع ما نسيتني أيتها الأميرة المعظّمة .

الأميرة « تتفرّس فيها » نظيرة ؟!! « تعانقها » منقذتي... مخلصتي !!! مخلصة وحيدي !!! لماذا تبكين يا حبيبتي ؟ كفكفي دموعك وقولي ما تشائين .

نظيرة أجل ، أنا هي أمتك نظيرة .

الأميرة لقد جرحتِ فؤادي ، فاسرعي وقولي ما هو سبب بكائكِ .

نظيرة آه يا مولاتي ! لقد فقدت زوجي اثناء الثورة الغاشمة ، وكنت اعتقدت انه قُتل مع الذين قُتلوا فبكيته أياماً وارتديت ملابس الحداد ، ثم تأكدت اليوم من أنه لا يزال في قيد الحياة وهو معتقل في أعماق السجون ، وبتُّ أخشى على حياته لا سيما وهو أبٌ لطفلة ما تجاوزت الشهر الثامن ، فارحميني وارحمي طفلتي وشباب زوجي .

الأميرة منقذة الأميرين ومخلّصة البلاد يُزجّ بزوجها في اعماق السجون ؟ لا والذي نجّانا من الموت واعادنا الى بلادنا واعاد إلينا كرامتنا بفضلكِ

ومساعيك الشريفة . كفكفي الدمع واغتبطي .

« تنادي » سعاد .

سعاد « من الخارج » لبيك .

الأميرة اسرعي الى الأمير مولاك ، وابلغيه ارادتي بان يأمر سريعاً باخراج زوج نظيرة من السجن، وأن يضمه الى حاشيته فيكون بين وزرائه وابطاله ، ويقلده ارفع الأوسمة مكافأة لمنقذة البلاد ، ومخلصة الأميرة والأميرين .

سعاد أمرك . « تخرج »

الأميرة « الى نظيرة » طيبي نفساً وقرّي عيناً ، فمنذ الآن ستكون طفلتك اختاً لولدي فيتربيان معاً ، وزوجك وزيراً في حاشية الأمير ، وأنت في عداد سيدات الشرف في بلاطنا . « ثم تعلق على صدرها وساماً رفيعاً وتقبلها ، وحينئذٍ تنبري الحاضرات فيهنئنها ويقبّلنها »

ثريا لك الهناء ايتها السيدة الشريفة بعطف الأميرة ، فانك اهل لذلك .

نظيرة لست اهلاً لهذا العطف تشملني به اميرة البلاد ،

وإذا كنت قد قمت بشيء من الواجب ، فإنما ذلك مفروض على من كان في صدره ذرّة من الاخلاص ، وليس الفضل فضلي، فالفضل للمتقدم. لقد طوّقت الأميرة عنقي بفضل لا يوازيه فضل على الأرض ، ولقد شئت ان أفي ديناً يثقل كاهلي ففعلت، لكن مولاتي المعظمة عادت فثقّلت هذا الكاهل بفضل اعظم .

الأميرة انت الجديرة بالشكر ، فاسعدي وعيشي شريفة .

الجميع عاشت الأميرة ، وعاشت البلاد . « ثم يغنّين : جدّدي ارض الشآمِ ، وفي وسط الانشاد ينزل الستار »

•

تمت

بعض منشوراتنا المسرحية

ليلى ابنة الملك النعمان
دعد أميرة غسان
ثريا الأميرة الهندية
عدلا أميرة بني شيبان
حنة أميرة بريطانيا
الطبيب على الرغم منه
المثري النبيل
مريض الوهم
البخيل
الروائي
صلاح الدين الأيوبي
الحب الأخوي
عثليا
عاقبة الظلم
مبادلة الجميل

•

DATE DUE

15 JUN 2011

Circulation Dept.

الحايك ،يوسف (الخورى)
مبادلة الجميل: تمثيلية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037429

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

General Library

892.78
Ha195mA
C.1